

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا
سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ
رواه مسلم



البناء العلمي

المرحلة الثانية

الفصل الدراسي الأول

العقيدة الطحاوية

د. سهل العتيبي

الدرس الثاني عشر

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللهم صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابتة أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

بيان معتقد أهل السنة والجماعة في المعراج والحوض والشفاعة.



{قال المصنف -رحمه الله تعالى: (وَالْمِعْرَاجُ حَقٌّ وَقَدْ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعُجِرَ بِشَخْصِهِ فِي الْيَقْظَةِ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْعُلَا وَأَكْرَمَهُ اللَّهُ بِمَا شَاءَ، وَأُوْحِيَ إِلَيْهِ مَا أُوْحِيَ ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: 11]، فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى. وَالْحَوْضُ الَّذِي أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ غِيَاثًا لِأُمَّتِهِ حَقٌّ، وَالشَّفَاعَةُ الَّتِي ادَّخَرَهَا لَهُمْ حَقٌّ كَمَا رُوِيَ فِي الْأَخْبَارِ)؛

- قال الإمام الطحاوي -رحمه الله- في عقيدته التي هي عقيدة فقهاء الملة: (وَالْمِعْرَاجُ حَقٌّ) وهذا الموضوع يتعلق بالإيمان باليوم الآخر والإيمان بالرسول، هذه الموضوعات التي ذكرها هنا فيما يتعلق بالمعراج والحوض والشفاعة، تتعلق بالإيمان بالرسول ومن ذلك الإيمان بالخصائص التي خصَّ الله بها نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم، وكذلك الإيمان بأحوال الآخرة.
- قال هنا: (وَالْمِعْرَاجُ حَقٌّ) المعراج المقصود به عروج النبي -عليه الصلاة والسلام- إلى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى، فأصل العُروج هو الصُّعود، ومُرادُه هنا عُروج النَّبِيِّ -عليه الصلاة والسلام، ثُمَّ ذَكَرَ أَيْضًا الْإِسْرَاءَ؛ لِأَنَّ الْإِسْرَاءَ كَانَ قَبْلَ الْمِعْرَاجِ، ولهذا يبوب أهل العلم في كُتُبِ الْعَقَائِدِ لهذه المسألة بالإسراء والمعراج.
- وقوله: (حَقٌّ) أي: هو ثابتٌ في الكتاب وفي سنة النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم، وَيَعْتَقِدُهُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا تصديقًا لكلام الله -تعالى، وتصديقًا لكلام النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم، فهو حق ثابتٌ لا شَكَّ فِيهِ وَلَا مَرِيةَ فِيهِ، فهذا هو مُعْتَقِدُ أَهْلِ السُّنَّةِ.
- والمعراج دَلٌّ عَلَيْهِ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ وكذلك في الاصطلاح الشرعي كقوله -تبارك وتعالى- في وصف الملائكة: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: 4] والعُروج مَعْنَاهُ الصُّعُودُ إِلَى أَعْلَى، وَدَلَّ عَلَيْهِ أَيْضًا قَوْلُهُ -تبارك وتعالى- في أول سورة "النجم": ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ [النجم: 1-5] وهو جبريل -عليه والسلام- ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ [النجم: 6-7] وهذا فيه دليل على المعراج. ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى *

فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى [النجم: 8-10] وَوَصَفُ النَّبِيِّ -عليه الصَّلَاة والسلام- هنا بالعبودية دليل على أنه عبد لا يُعبد، ولهذا قلنا: إِنَّ اللَّهَ -تبارك وتعالى- وَصَفَهُ بهذا الوصف الشَّرِيف في أعلى مقامات التَّشْرِيف **﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾**.

وليلة الإسراء والمعراج هي أشرف ليلة حصلت للنبي -عليه الصَّلَاة والسلام-، وهي أشرف ليلة بالنسبة للنبي -عليه الصَّلَاة والسلام- لما فيها من إظهار فَضْلِهِ -عليه الصَّلَاة والسلام-، ومع ذلك فقد وصفه ربه في هذه الليلة الشريفة بوصف العبودية.

• **﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾** وهذا أيضاً دليل على أَنَّ في المعراج حَصَلَ له نوع من أنواع الوحي، وهو كلام الله -تبارك وتعالى- له مُباشرة من غير واسطة، وهذا نوع من أنواع الوحي.

• قال -عز وجل: **﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتَمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾** [النجم: 11-13] أي: رأى جبرائيل -عليه السلام-، وقد رآه النبي -صلى الله عليه وسلم- في ليلة المعراج على صورته الملكية، وله ستمائة جناح قد سَدَّ الأفق، ورآه المرة الأخرى في مكة، فقلوه: **﴿وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾** أي: رأى جبريل -عليه السلام- على صورته الملكية في ليلة المعراج.

• **﴿وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾** [النجم: 13-14] وهذا فيه دليل على المعراج. إذن المعراج دَلَّ عليه قول الله -تبارك وتعالى: **﴿وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾** [النجم: 13-18] أي: أَنَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- في ليلة الإسراء والمعراج، رأى من آيات رَّبِّهِ الْكُبْرَى الدالة على عظمتة -تبارك وتعالى-.

• هذا ما يتعلق بالمعراج، قال الإمام الطحاوي: **(وَقَدْ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعُرِجَ بِشَخْصِهِ فِي الْيَقْظَةِ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْعُلَا وَكَرَّمَهُ اللَّهُ بِمَا شَاءَ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ مَا أَوْحَى ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١]، فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى).**

الإسراء دَلَّ عليه قوله -تعالى- في أول سورة الإسراء التي تُسمى بسورة بني إسرائيل، وسَمَّى الله هذه السورة بهذه الكرامة العظيمة التي حصلت للنبي -صلى الله عليه وسلم- ولذا فقد سميت هذه السورة بسورة الإسراء.

• قال في أولها: **﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾** [الإسراء: 1]، **﴿سُبْحَانَ﴾** نَزَّهَ الله -تبارك وتعالى- نفسه عن كل نقص وعيب ومشابهة للمخلوقين وعن النقص في صفات الكمال، مما يدل على أَنَّ هذا الذي حصل للنبي -صلى الله عليه وسلم- آية عظيمة، فَتَزَّهَ -سبحانه وتعالى- نفسه بقوله: **﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾** وأيضاً هنا وَصَفَهُ بوصف العبودية، فهو عبد لا يُعبد، ووصفه بالعبودية في أعلى مقامات التَّشْرِيف.

• **﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾** والإسراء هو المسير ليلاً، والمراد هو مسير النبي -صلى الله عليه وسلم- من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى **﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾** وهذا فيه بيان مكانة المسجد الأقصى، ولهذا ميز

بهذه الميزة العظيمة وهذا التشريف العظيم، وهو أنَّ عُرُوج النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- كان من المسجد الأقصى بيت المقدس إلى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى.

- ذَكَرَ أهل العلم حِكْمَ في كون النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- عُرِجَ به من المسجد الأقصى ولم يعرج به من المسجد الحرام، فذكروا من هذه الحِكْم وهي على جهة الاستنباط، أنَّ قُرَيْشًا استعظمت هذا، فطلبت من النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- الدليل، فوصف لهم المسجد الأقصى، فقليل من الحكم: فيه إشارة إلى دلائل صِدْق النَّبِيِّ -عليه الصَّلَاة والسَّلَام، ولله الحِكْمَة البالغة في كون المعراج كان من المسجد الأقصى، فأسرى الله -تبارك وتعالى- بنبيه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ومن المسجد الأقصى عُرِجَ به -عليه الصَّلَاة والسَّلَام- إلى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، فقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ وهذا دليل على أنَّ هذه آية عظيمة ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ وهذا دليل على أنَّ في الإسراء والمعراج من الآيات العظيمة الدالة على عظمة الله -تبارك وتعالى- ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ هُنا مسائل تتعلق بالإسراء والمعراج، هل الإسراء كان يقظة أم منامًا؟ وهل الإسراء والمعراج كان بجسده -عليه الصَّلَاة والسَّلَام- وروحه؟ أم كان بالروح فقط؟ والجواب على السؤال الأول، نقول: إنَّ الإسراء كان يقظة لا منامًا، بدليل أنَّ المُشْرِكِينَ من قُرَيْشٍ أنكروا ذلك واستعظموه وهم لا ينكرون المنامات، فلو كان الإسراء والمعراج منامًا لما أنكرته قُرَيْشٌ؛ لأنَّها لا تُنْكَرُ المنامات، ولهذا استعظمتها وأنكرته، فكان دليلاً على أنه كان يقظة لا منامًا.
- ثم نقول: إنَّ الإسراء والمعراج كان بجسده -عليه الصَّلَاة والسَّلَام، ولهذا قال المؤلف: (وَقَدْ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعُرِجَ بِشَخْصِهِ فِي الْيَقَظَةِ) والدليل على أنه بجسده والروح أنَّ الله -تبارك وتعالى- قال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ والعبد يُطلق على الجسد والروح لا على الروح فقط، ولهذا قال: (وَعُرِجَ بِشَخْصِهِ فِي الْيَقَظَةِ).
- فقولُه: (بِشَخْصِهِ) يدل على أنَّ الإسراء والمعراج كان بالجسد والروح، وفي قوله: (فِي الْيَقَظَةِ) دليل على أنه يقظة لا منامًا، وأكرمه الله -عز وجل- بما أكرمه به كما دَلَّتْ عليه آية الإسراء وكما دلت عليه آية النّجم، في أنَّ الله -عز وجل- أراه من آياته العظْمى، وأكرمه الله -عز وجل- بهذه الليلة الشَّرِيفة، فَقَدَّمَهُ على الأنبياء وصَلَّى بهم إمامًا، وكذلك كلمه الله -تبارك وتعالى- وأظهر مكانته بين الأنبياء والمرسلين.
- الإسراء فيه من الآيات والعبر الدالة على عظمة الله -تبارك وتعالى- وعلى عظمة مخلوقاته، وكذلك فيه إظهار مكانة النَّبِيِّ -عليه الصَّلَاة والسَّلَام، ولهذا قال -عليه الصَّلَاة والسَّلَام- كما جاء في صحيح مسلم، لما استعظمت قُرَيْشٌ ذلك، لما أخبرهم بالإسراء والمعراج وأخبرهم بخبره، وأخذوا يسألونه عن أوصاف بيت المقدس، يقول -عليه الصَّلَاة والسَّلَام: «فَكُرِّبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِّبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ»¹ يعني: من شدة ما كُرِّبَ -عليه

¹ البخاري: (172) عن أبي هريرة

الصَّلَاة والسَّلَام- مِن إنكارهم عَلَيْهِ، وهذا دليل على أَنَّهُ لو كان مَنَامًا لما أنكرت قريش ذلك، ولا مَا كُربَ النَّبِيِّ - عليه الصَّلَاة والسَّلَام.

من الفوائد والحكم التي تُستنبط من قصة الإسراء والمعراج.

❖ قال: «فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ، إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ»^٢ من الآيات التي حصلت في

ليلة الإسراء والمعراج، ومن الفوائد والحكم التي تُستنبط من قصة الإسراء والمعراج، في ذلك إثبات العلو لله -تبارك وتعالى، ما وجه إثبات العلو لله -تبارك وتعالى؟

المقصود العلو الذاتي الذي يُنكره المُعْطَلَة، فيثبتون علو القَدَر وعُلو القَهَر ولكنهم يُنكرون عُلو الذَّات.

ما الدليل على هذه الآية في قصة المعراج؟

لما نقول المعراج والعروج، المعراج هو الصُّعود إلى الأعلى، أي: هو الصُّعود إلى سِدرة المنتهى، ففي المعراج إثبات العلو لله -تبارك وتعالى، العلو الذاتي، وفيه رَدُّ على مَنْ يُنكر عُلو الله -تبارك وتعالى- الذاتي على مخلوقاته، تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُ الْمُعْطَلَة عُلوًا كبيرًا.

❖ من الآيات والعبر إثبات صفة الكلام لله -تبارك وتعالى: لأنَّ الله -تبارك وتعالى- كَلَّمَ نبيه محمد -صلى

الله عليه وسلم، ففيه إثبات صفة الكلام، وأنَّ الله -تبارك وتعالى- يتكلم متى شاء، كيفما شاء، فإذا شاء بحرف وصوت مَسْمُوع، سَمِعَهُ مِنْهُ مُوسَى، وَسَمِعَهُ محمد -صلى الله عليه وسلم.

• ولهذا كان من فضائل النَّبِيِّ -عليه الصَّلَاة والسَّلَام، أَنَّهُ شَارَكَ مُوسَى بهذه الصفة، فَكَلَّمَهُ اللهُ تَكْلِيمًا، ومُوسَى -عليه السَّلَام- كَلَّمَهُ اللهُ تَكْلِيمًا، فَيُسَمَّى مُوسَى بكليم الرحمن، وهكذا كَلَّمَ اللهُ محمدًا -صلى الله عليه وسلم، وشَارَكَ إبراهيم في صفة الخُلة، فالله -تبارك وتعالى- اتخذ إبراهيم خليلًا، واتخذ محمدًا -صلى الله عليه وسلم- خليلًا.

❖ من الآيات والعبر والفوائد ما يدل على فضيلة نبينا -عليه الصَّلَاة والسَّلَام، حيث إنَّ الله -عز وجل-

بَيَّنَّ شَرْقَهُ وَمَكَانَتَهُ حَيْثُ أُمَّ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ فِي بَيْتِ الْمَقْدَسِ، وكان -عليه الصَّلَاة والسَّلَام- مَا يَمُرُّ بِالسَّمَاءِ وَيَسْتَفْتَحُ إِلَّا وَيُفْتَحُ لَهُ، ثم يسأله مَنْ فِي السَّمَاءِ وَيَرُدُّ -عليه السَّلَام- كما جاء في الحديث، أَنَّهُ -عليه الصَّلَاة والسَّلَام- عُرج به من بيت المقدس في تلك الليلة إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فاستَفْتَحَ له جبريل، ففتح لهم، فَرَأَى هُنَاكَ آدَمَ -أبو البشر- فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَردَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَرحبَ به، وقال: مرحبًا بالابن الصَّالِحِ والنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَأَقَرَّ بنبوته -عليه الصَّلَاة والسَّلَام، ثُمَّ عُرج به -عليه الصَّلَاة والسَّلَام- إلى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فاستَفْتَحَ، ففُتِحَ له، فَرَأَى فِيهَا يَحْيَى ابْنَ زَكَرِيَّا وَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، وهما ابنا الخالة، فَرحبًا به -عليه الصَّلَاة والسَّلَام وَأَقَرَّ بنبوته.

• ثُمَّ عُرج به إلى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، وفيها رَأَى يُوسُفَ -عليه السَّلَام- فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَرحبَ به، وَأَقَرَّ بنبوته، ثُمَّ عُرج به إلى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَرَأَى فِيهَا إِدْرِيسَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَرحبَ به، ثُمَّ عُرج به إلى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَرَأَى فِيهَا

^٢ تقدم تخريجه في (1)

هَارُونَ ابْنِ عِمْرَانَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَرَحَّبَ بِهِ، ثُمَّ عُرِّجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَرَأَى فِيهَا مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فَرَحَّبَ بِهِ وَسَلَّم عَلَيْهِ، ثُمَّ عُرِّجَ بِهِ.

وَلَمَّا غَادَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بَكَى مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فَسُئِلَ مَا الَّذِي أَبْكَاكُ؟

فَقَالَ: إِنَّ غَلَامًا بَعْدَهُ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّةِ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ.

• ثُمَّ عُرِّجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَفِيهَا لَقِيَ إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فَرَحَّبَ بِهِ وَسَلَّم عَلَيْهِ وَأَقَرَّ بِنُبُوَّتِهِ، ثُمَّ رُفِعَ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَرُفِعَ لَهُ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، وَقَدْ رَأَى -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يَطُوفُ بِهِ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، «لَمْ يَعُودُوا آخَرًا عَلَيْهِمْ»^٣.

وَسُمِّيَ بِالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ؛ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَعْمُرُهُ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى عَظَمَةِ الْمَلَائِكَةِ وَكَرَامَةِ الْمَلَائِكَةِ، حَيْثُ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ.

• ثُمَّ إِنَّهُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- عُرِّجَ بِهِ إِلَى الْجَبَّارِ -جَلْ جَلَالِهِ- وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ، وَهَنَّاكَ فِي أَعْلَى مَكَانٍ وَصَلَ إِلَيْهِ بِشَرِّ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، فَرَضَهَا اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ خَمْسِينَ صَلَاةً، ثُمَّ إِنَّهُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- عَادَ، فَلَمَّا مَرَّ عَلَى مُوسَى سَأَلَهُ بِمَا أَمَرَكَ رَبُّكَ؟ فَبَيَّنَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أَنَّهُ فَرَضَ عَلَيْهِ خَمْسِينَ صَلَاةً.

• فَقَالَ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَهَذَا مِنْ شَفَقَتِهِ وَرَحْمَتِهِ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَطِيقُ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ وَسَلِّهِ التَّخْفِيفَ، فَنَظَرَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فَأَلْتَفَ إِلَى جِبْرَائِيلَ، كَأَنَّهُ يَسْتَشِيرُهُ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ أَيْ: نَعَمْ، فَاَنْطَلَقَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- مَعَ جِبْرَائِيلَ حَتَّى أَتَى الْجَبَّارَ -جَلْ جَلَالِهِ- ثُمَّ وَضَعَ عَنْهُ عَشْرَةَ، ثُمَّ عَادَ، فَلَمَّا أَتَى عَلَى مُوسَى، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَلِّهِ التَّخْفِيفَ، فَمَا زَالَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- بَيْنَ رَبِّهِ وَبَيْنَ مُوسَى.

• وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يُشِيرُ عَلَيْهِ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَهَذَا مِنْ شَفَقَتِهِ وَرَحْمَتِهِ بِأَمَّةِ مُحَمَّدٍ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، فِي كُلِّ مَرَّةٍ يُشِيرُ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أَنْ يَرْجِعَ إِلَى رَبِّهِ، فَيَسْأَلُهُ التَّخْفِيفَ، حَتَّى جَعَلَهَا اللَّهُ خَمْسَةَ، فَأَمَرَ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- بِالرَّجُوعِ وَسُئِلَ التَّخْفِيفَ، فَقَالَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ»^٤ وَهَذَا فِيهِ صِفَةُ الْحَيَاءِ مِنَ اللَّهِ، قَالَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ وَلَكِنِّي أَرْضَى وَأُسَلِّمُ».

• فَلَمَّا نَقَذَ مَا نَقَذَ، «نَادَى مُنَادٍ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي وَخَفَفْتُ عَنْ عِبَادِي»^٥، فَهِيَ فِي الْفِعْلِ خَمْسٌ وَلَكِنْ فِي الْمِيزَانِ خَمْسُونَ، مِنْ بَابِ الْمُضَاعَفَةِ، أَوْ مِنْ بَابِ مَنْ صَلَّى خَمْسَ صَلَوَاتٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى خَمْسِينَ، لَيْسَتْ مِنْ بَابِ الْمُضَاعَفَةِ، بَلْ مَنْ صَلَّى الْخَمْسَ فَكَأَنَّمَا صَلَّى الْخَمْسِينَ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَكُونُ الْمُضَاعَفَةُ، فَالْحَسَنَةُ بَعِشْرَ أَمْثَالِهَا، فَهِيَ خَمْسٌ فِي الْفِعْلِ وَلَكِنَّا فِي الْمِيزَانِ خَمْسُونَ صَلَاةً، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَكُونُ الْمُضَاعَفَةُ، الْحَسَنَةُ بَعِشْرَةَ أَمْثَالِهَا.

^٣ متفق عليه - عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْبَةَ

^٤ رواه البخاري (342) ومسلم (163)

^٥ البخاري (3674)

- في ليلة المعراج بيان فضيلة النَّبي -عليه الصَّلَاة والسَّلَام؛ لَأَنَّهُ قَبْلَ عُرُوجِهِ، لما أُسْرِيَ به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى صَلَّى بالأنبياء إمامًا، ثُمَّ عُرِجَ به -عليه الصَّلَاة والسَّلَام- فَمَا مَرَّ عَلَى أَهْلِ سَمَاءٍ إِلَّا رَحَبُوا بِهِ وَأَقْرَبُوا بَنِيوتَهُ -عليه الصَّلَاة والسَّلَام-.

❖ كما فيه من الفضائل في قصة الإسراء والمعراج **مشاركته -عليه الصَّلَاة والسَّلَام- لموسى -عليه**

السَّلَام- في صفة التكليم.

❖ من الفوائد شَفَقَةُ مُوسَى وَرَحْمَتُهُ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ، حَيْثُ أَمَرَ نَبِينَا مُحَمَّدًا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

التخفيف لأُمَّتِهِ فِي الصَّلَاةِ.

❖ وفيها العبر من الآيات والعبر من عظم مخلوقات الله -تبارك وتعالى- وسعتها، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْخَالِقَ

العظيم عَظِيمٍ، وفيها أيضًا مِنَ الْفَوَائِدِ مُعْجَزَةُ الرَّسُولِ -عليه الصَّلَاة والسَّلَام-، فَإِنَّ الْإِسْرَاءَ وَالْمَعْرَاجَ آيَةٌ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى صَدَقِ الرَّسُولِ -عليه الصَّلَاة والسَّلَام-.

❖ من الفوائد استشارة أهل الفضل والصَّلاح، حَيْثُ إِنَّ النَّبِيَّ -عليه الصَّلَاة والسَّلَام- أشار عليه موسى

واستشار جبرائيل، فالإنسان مَهْمَا بَلَغَ فِي مَقَامَاتِ الْفَضْلِ، فهو بحاجة إلى الْمَشُورَةِ واستشارة أهل الفضل والصَّلاح والتَّقَى.

- فهذا نبينا -عليه الصَّلَاة والسَّلَام- وفي أشرف ليلة له، وقد أُمَّ بالأنبياء في بيت المقدس ومع ذلك يَقْبَلُ الْمَشُورَةَ من موسى -عليه السَّلَام- وينظر إلى جبريل فيستشيرهُ، فالإنسان مهما بلغ في مقامات الفضل والعلم، فهو بحاجة إلى المشورة من أهل الفضل والنصح والصَّلاح.

❖ من الفوائد بيان فضل بيت المقدس، أعاده الله للمسلمين وطَهَّرَهُ مِنْ أَرْجَاسِ الْيَهُودِ، حَيْثُ إِنَّ النَّبِيَّ -

عليه الصَّلَاة والسَّلَام- عُرِجَ بِهِ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، فِي أَعْلَى مَكَانٍ وَصَلَ إِلَيْهِ بَشَرٌ، وَهَنَّاكَ سَمِعَ -عليه الصَّلَاة والسَّلَام- صَرِيْفَ الْأَقْلَامِ.

❖ من الفوائد بيان مكانة الصَّلَاة وفضل الصَّلَاة، حَيْثُ إِنَّ اللَّهَ -تبارك وتعالى- فرضها على نبيه -عليه

الصَّلَاة والسَّلَام- أَيْ: مِنَ اللَّهِ مَبَاشَرَةً مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ.

- وأين فرضها؟ عند سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، مما يدل على عِظَمِ هَذِهِ الصَّلَاةِ، الَّتِي جَعَلَهَا النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْحَدَّ الْفَاصِلَ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالْكَفْرِ، فَقَالَ: «الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»^٦، وقال: «يَبْنَ الرَّجُلُ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكَفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ»^٧ وهي آخِرُ وَصِيَّةٍ أَوْصَى بِهَا النَّبِيُّ -عليه الصَّلَاة والسَّلَام-؛ وَلِأَجْلِ ذَلِكَ انْظُرُوا كَيْفَ فَرَضَتْ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ؟ وَأَيْنَ فَرَضَتْ؟ فِهَذَا يَدُلُّكَ عَلَى مَكَانَةِ هَذِهِ الْعِبَادَةِ الْعَظِيمَةِ. بخلاف بقية الأحكام والشرائع فإنها تُفرض على الأرض وبواسطة جبريل، أَمَّا الصَّلَاةُ فَلأهميتها ومكانتها في الإسلام، أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِأَجْلِهَا، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى هُنَاكَ فِي أَعْلَى مَكَانٍ وَصَلَ إِلَيْهِ بَشَرٌ.

^٦ رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه

^٧ أخرجه مسلم.

- وقد فرض الله عليه هذه الصَّلَاة مباشرة بغير واسطة، مما يدل على مكانتها وعظمتها، والصلاة صلة بين العبد وربّه.
- ولهذا مِنَ العَجَب أن تجد مِنَ المُسلمين مَنْ يَحْتَفِي بليلة الإسراء والمعراج، فيحيي هذه الليلة، مع أنه لم يثبت تاريخ معين ليلية الإسراء والمعراج؛ لأنَّ الإسراء والمعراج كان في مكة قبل الهجرة، فلم يثبت في أي ليلة كانت تلك الليلة، ومع ذلك تجد من المسلمين مَنْ يَحْتَفِي بها كما يَحْتَفِي بالمولد النَّبَوِي، وربما يُحيي تلك الليلة بالمدائح التي فيها شيئاً مِنَ الشَّرِك، وبأُمُور مَا أُنْزَلَ اللهُ بها من سلطان، والنَّبِي -صلى الله عليه وسلم- لم يَحْتَفِي بتلك الليلة، ولم يَحْتَفِي صحابته بتلك الليلة.
- وَمِنَ العَجَب أن تجد هؤلاء الذين يَحْتَفُونَ بإحياء ليلة الإسراء والمعراج هُم مَنْ يُهْمَلُونَ الصَّلَاة وَيُقْصَرُونَ فِي الصَّلَاة، وهذا مِنَ العَجَب، كما أَنَّكَ تَجِد أحياناً ممن يَحْتَفُونَ بالمولد النَّبَوِي هم مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ تَقْصِيرًا فِي سُنَّةِ النَّبِي -عليه الصَّلَاة والسَّلَام، بل تجد ممن يَحْتَفِي بالمولد النَّبَوِي إِذَا جَاءَ فِي الاحتجاج بالأحاديث، قال: أحاديث آحاد لا يُحتج بها، فَيَرُدُّ أحاديث النَّبِي -صلى الله عليه وسلم، وَمَعَ ذلك تجده يتمسك بمثل هذه البدع التي مَا فعلها النَّبِي -صلى الله عليه وسلم- ولا فعلها الصَّحَابَةُ.
- وهكذا تجدُ فِي الأُمَّة مَنْ يَحْتَفِي بالليلة بِرُغْمِهِ أَنَّ ذلك يعد تعبيرًا عَن حُبِّهِ لِلنَّبِي -عليه الصَّلَاة والسَّلَام، ونقول: دليل المحبة الحقيقية هي اتباع النَّبِي -عليه الصَّلَاة والسَّلَام- والاهتداء بهديه، وَمِنَ ذلك المحافظة على هذه الصَّلَاة التي كانت لها هذه المكانة العظيمة فِي هذه الليلة التي رَأَى فِيهَا النَّبِي -عليه الصَّلَاة والسَّلَام- مِن آيَاتِ الله الدالة على عظُمته.
- قال: (فَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى) صلاة الله على نبيه -عليه الصَّلَاة والسَّلَام- هي ثناؤه عليه فِي المَلَأُ الأَعْلَى، وَأَمَّا صلاة الملائكة وصلاة المؤمنين فِي الدعاء له بِأَن يُثْنِي اللهُ عَلَيْهِ فِي المَلَأُ الأَعْلَى، فَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- والنَّبِي -عليه الصَّلَاة والسَّلَام- يُجْمَعُ لَهُ بَيْنَ الصَّلَاة والسَّلَام، كما قال الله -تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56]، (فَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى) أي: فِي الآخرة والدين.
- قال فِي الموضوع السادس فِي هذه العقيدة: (وَالْحَوْضُ الَّذِي أَكْرَمَهُ اللهُ تَعَالَى بِهِ غِيَاثًا لِأُمَّتِهِ حَقًّا) الحوض يقصد به الحوض الذي يكون فِي عرصات القيامة، والحوض فِي اللغة هو مَجْمَعُ الماء، ويختلف الحوض عن النَّهْرِ، فَالنَّهْرُ يجري، والنَّهْرُ فِي الجَنَّة، مثل: نهر الكوثر فِي الجَنَّة، وَأَمَّا الحوضُ فهو فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، بِدَلِيل أَنَّهُ يُزَادُ عَنْهُ أَقْوَامٌ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الحوض فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، وَلَكِن الحوض يستمد ماءه مِن نَهْرِ الكوثر، يَصْبُ فِيهِ مِيزَابَانِ، مِيزَابٌ مِن ذَهَبٍ، وَمِيزَابٌ مِن فِضَّةٍ، فَالحوض فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، بِدَلِيل أَنَّهُ يُزَادُ عَنْهُ أَقْوَامٌ، وَأَمَّا الكوثر فهو نهر فِي الجنة.

- قال: (وَالْحَوْضُ الَّذِي أَكْرَمَهُ اللَّهُ) فهو كرامة للنبي -عليه الصَّلَاة والسلام، (وَالْحَوْضُ الَّذِي أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ) أكرم الله به نبيه محمداً -صلى الله عليه وسلم- (غِيَاثًا لِأُمَّتِهِ حَقًّا) أي: يشربون منه، (لِأُمَّتِهِ حَقًّا) أي: ثابت لا شك فيه ولا مِرْيَةٍ فيه.
- وقد تواترت الأحاديث في إثبات الحوض للنبي -عليه الصَّلَاة والسلام، حتى جاءت الأحاديث عن أكثر من خمسين من الصحابة، فأكثر من خمسين صحابي رَوَوْا أحاديث الحوض وما يتعلق بصفات الحوض، كما جاء في السنة.
- يقول الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في كتابه البداية والنهاية: "ذكر ما ورد في الحوض المحمدي، سقانا الله منه يوم القيامة -اللهم آمين- من الأحاديث المشهورة المتعددة من الطرق المأثورة الكثيرة المتضافرة، وإن رغمت أنوف كثير من المبتدعة المكابرة" الذين يُنكرونه تقليدًا للمعتزلة الذين ينكرون أخبار الآحاد، وكذلك العقلايين الذين يتبعون المعتزلة في إنكار هذه المُغيبات والكرامات للنبي -عليه الصَّلَاة والسلام.
- يقول: "وإن رغمت أنوف كثير من المبتدعة المكابرة القائلين بجحوده المنكرين لوجوده، وأُخْلِقَ بهم أن يحال بينهم وبين وروده" فمن أنكر هذه الكرامة العظيمة، فهو حَرِيٌّ بِحَرَمَانِهَا وَحَرِيٌّ بِالطَّرْدِ عَنْ الْحَوْضِ، "كما قال بعض السلف: مَنْ كَذَّبَ بِكَرَامَةِ لَمْ يَنْلِهَا، وَلَوْ أَطْلَعَ الْمُنْكَرُ لِلْحَوْضِ عَلَى مَا سَنُورِدُهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ قَبْلَ مَقَالَتِهِ لَمْ يَقْلُهَا" يعني من الذين أنكروا الحوض هم حَرِيٌّ بِحَرَمَانِهَا، كما أَنَّ مَنْ أَنْكَرَ رُؤْيَا اللَّهِ -تبارك وتعالى- في الْجَنَّةِ، فهو حَرِيٌّ بِحَرَمَانِ هَذِهِ الْكَرَامَةِ الْعَظِيمَةِ، أعظم نعيم يتنعم به أهل الجنة رؤيتهم لربهم -تبارك وتعالى، فيأتي مَنْ يُنْكِرُهَا وَيَقُولُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَرَى، فهو حَرِيٌّ بِحَرَمَانِ هَذِهِ الْكَرَامَةِ الْعَظِيمَةِ وَهَذَا الثَّوَابِ الْعَظِيمِ، وهكذا مَنْ أَنْكَرَ الْحَوْضَ وَزَعَمَ أَنَّ الْأَحَادِيثَ لَمْ تَثْبُتْ أَوْ أَنَّهُ لَا يَعْقِلُ، فهو حَرِيٌّ بِأَنْ يُحْرَمَ هَذِهِ الْكَرَامَةُ الْعَظِيمَةُ.
- ويقول: "مَنْ كَذَّبَ بِكَرَامَةِ لَمْ يَنْلِهَا"، مَنْ أَنْكَرَ الشَّفَاعَةَ فهو حَرِيٌّ بِأَنْ لَا يُنَالَ الشَّفَاعَةَ، وَمَنْ أَنْكَرَ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ -تبارك وتعالى- فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، فهو حَرِيٌّ بِحَرَمَانِهَا، وَمَنْ أَنْكَرَ الْحَوْضَ فَهُوَ حَرِيٌّ بِالطَّرْدِ عَنْ الْحَوْضِ -عيادًا بالله.
- قال: "ولو اطلع المنكر للحوض على مَا سَنُورِدُهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ قَبْلَ مَقَالَتِهِ لَمْ يَقْلُهَا" إن كان في قلبه إيمانًا وتعظيمًا لقول النبي -عليه الصَّلَاة والسلام.
- ابن أبي العز الحنفي وهو تلميذ لابن كثير، يقول في شَرَحِهِ لِلْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ: "الأحاديث الواردة في ذكرِ الْحَوْضِ تَبْلُغُ حَدَّ التَّوَاتُرِ، رواها من الصَّحَابَةِ بضع وثلاثون صحابي، ولقد استقصى طرقها شيخنا الشيخ عَمَادُ الدِّينِ بن كثير" وهذا يدل على أَنَّ ابن كثير هو شيخ لابن أبي العز الحنفي -تغمده الله برحمته- في آخر تاريخه الكبير المسمى بالهداية والنهاية.

- من هذه الأحاديث مَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِينَ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «إِنِّي فَرَطُكُم عَلَى الْحَوْضِ»^٨ والفرط هو السَّابِق للماء، ولهذا يُقَالُ لِلطِّفْلِ الصَّغِيرِ إِنَّهُ فَرَطٌ، أَي: سَابِقٌ لَوَالِدِيهِ وَيَشْفَعُ لَهُمْ، فيقول -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:
 - «إِنِّي فَرَطُكُم عَلَى الْحَوْضِ مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا»^٩ وهذا يدلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ شَرِبَ مِنَ الْحَوْضِ فَإِنَّهُ دَاخِلُ الْجَنَّةِ، بِفَضْلِ اللَّهِ وَمَنْهُ وَكَرَمِهِ؛ لِأَنَّ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَا يَظْمَأُ أَبَدًا، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ شَرِبَ مِنَ الْحَوْضِ فَقَدْ نَجَا، فَلَا يَحْتَاجُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الشُّرْبِ مِنْ ظَمَأٍ وَإِنَّمَا يَشْرَبُ تَلَذُّذًا؛ لِأَنَّ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا.
 - فِي بَعْضِ الْكُتُبِ أَوْ فِي بَعْضِ الْأَدْعِيَةِ يَقُولُونَ: وَنَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ نَشْرَبَ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ، وَهَذَا لَمْ يَرِدْ، هَذَا الْقَيْدُ "بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ"، وَإِنَّمَا الَّذِي وَرَدَ عَوْ: مَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا.
 - ثُمَّ قَالَ -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي»^{١٠} أَي بِأَوْصَافِهِمْ مِنْ أُمَّتِهِ «ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ» وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لَيْسَ جَمِيعُ الْأُمَّةِ تَرِدُ الْحَوْضَ، وَإِنَّمَا هُنَا مَنْ يَمْنَعُ مِنَ الْوُرُودِ عَلَى الْحَوْضِ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: «ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، فَأَقُولُ: إِنَّهُمْ مِنِّي» أَي: مِنْ أُمَّتِي «فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بِعَدْلِكَ» وَكَلِمَةٌ لَا تَدْرِي فِيهَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ، وَأَنَّهُ بَعْدَ مَوْتِهِ لَا يَعْلَمُ بِحَالِ أُمَّتِهِ، وَلِهَذَا لَا يُسْأَلُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَلَا يُسْتَغَاثُ بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وَلَا بِدَعَائِهِ، لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُ لَا يَدْرِي.
 - «فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بِعَدْلِكَ» وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ أَحْدَثَ فِي الدِّينِ حَدَثًا، فَهُوَ يُطْرَدُ عَنِ الْحَوْضِ «فَأَقُولُ: سَحَقًا، سَحَقًا، لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي» فَكُلُّ مَنْ أَحْدَثَ فِي الدِّينِ وَابْتَدَعَ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ يُعَاقَبُ بِأَنَّهُ لَا يَرِدُ عَلَى حَوْضِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا مَاتَ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ.
 - يَقُولُ ابْنُ أَبِي مَلِيكَةَ: "اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أَعْقَابِنَا" أَي نَرْتَدُّ وَنَنْتَكِسَ عَنْ دِينِنَا "أَوْ نُفَتَنَ" وَالحديث رواه البخاري ومسلم.
- **هل الحوض خاصٌّ بالنبي -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟ أم أنَّ لكلَّ نبي حوض؟**
- قد جاء في بعض الأحاديث ومن الأحاديث ما رواه الترمذي، أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا»^{١١} وَيتباهى الأنبياءُ بِأَحْوَاضِهِمْ، وَالنَّبِيُّ -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يَمْتَازُ حَوْضُهُ بِأَنَّهُ أَعْظَمُ أَحْوَاضِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَحْلَاهَا وَأَكْثَرَهَا وَارِدًا، فَلكلِّ نبي حوض فيتباهون ويتفاخرون، وَأَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ وَرُودًا عَلَى الْحَوْضِ، أَي: أَكْثَرُ مَنْ يَرِدُ مِنَ النَّاسِ هُمْ عَلَى حَوْضِ النَّبِيِّ -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَيَمْتَازُ حَوْضُهُ -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- بِأَكْثَرِهَا وَرُودًا وَأَحْلَاهَا.

^٨ رواه البخاري (6212) ومسلم (2290)

^٩ تقدم تخريجه في (8)

^{١٠} تقدم تخريجه في (8)

^{١١} السلسلة الصحيحة عن سمرة بن جندب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا، وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً، وَإِنِّي أَرْجُو أَنَّ اللَّهَ أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً.

- وقد جاء بالسنة أوصاف الحوض وفي طوله وفي عرضه وفي عدد آنيته، أحلى من العسل وأبيض من اللبن، وآنيته كعدد نجوم السماء، إلى غير ذلك من الأوصاف التي جاءت في الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.
- وهذه العقيدة مُستقرة عند المسلمين، سلفًا وخلفًا، حتى قال أنس وهو أحد رواة أحاديث الحوض: "ولقد أدركتُ عجائزَ بالمدينة لا يُصَلِّينَ صلاةً إلا سألنَّ اللهَ تعالى أن يورِدَهُنَّ حَوْضَ مُحَمَّدٍ"، وأنس هو خادم النبي - صلى الله عليه وسلم، ولا شك أنه يحكي عن كبار الصحابة ويقول: أدركت عجائز، وفيه دليل على أنها عقيدة مُستقرة عندهم، حتى إنهم يسألون الله -تبارك وتعالى- في الصَّلَاة الورود على الحوض.
- هذا ما يتعلق بمعتقد أهل السنة والجماعة في حوض النبي -عليه الصَّلَاة والسَّلَام، أخيرًا قال الإمام الطحاوي -رحمه الله: **(وَالشَّفَاعَةُ الَّتِي ادَّخَرَهَا لَهُمْ حَقٌّ كَمَا رُوِيَ فِي الْأَخْبَارِ)** الشَّفَاعَةُ التي ادَّخَرَهَا، أي: النبي -عليه الصَّلَاة والسَّلَام- فهي حَقٌّ وَصِدْقٌ وثابتة، كما دَلَّ عليها كتاب الله وكما دَلَّ عليها حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم.
- جاء في الحديث المتفق عليه، أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- قال: **«لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلْ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِّأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**^{١٢} وهذا معنى قوله في أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- **(ادَّخَرَهَا)** أي: لأُمَّته **«وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِّأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»** وهذه فيه إثبات الشَّفَاعَةِ لأهل الكبائر من الموحدين.
- الشَّفَاعَةُ دَلَّ عليها القرآن ودلت عليها السُّنَّة، ومن أدلة القرآن على الشَّفَاعَةِ، قوله -تبارك وتعالى: **﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾** [الإسراء: 79] والمقام المحمود هو شفاعته -عليه الصَّلَاة والسَّلَام- في أهل الموقف، وهي الشَّفَاعَةُ العُظْمَى في أهل الموقف، للفصل والقضاء.
- هذه الشَّفَاعَةُ التي يعتذر عنها الأنبياء، يعتذر عنها آدم، ويعتذر عنها نوح وهو أول الرسل، ويعتذر عنها إبراهيم وهو خليل الرحمن، ويعتذر عنها موسى وهو كلِّيم الرحمن، ويعتذر عنها عيسى، ثم يأتون محمدًا -صلى الله عليه وسلم- فيقول: **«أنا لها أنا لها»**^{١٣} فيشفع في أهل الموقف.
- هذه الشَّفَاعَةُ التي قَالَ عنها النبي -صلى الله عليه وسلم: **«مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ النَّامَةُ وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ، أَتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، إِلَّا حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**^{١٤} وهذا فيه دليل على أَنَّ المحافظة على الدُّعاء بعد سماع الأذان من أسباب نيل شفاعَةِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم، نسأل الله أن يرزقنا وإياكم شفاعته.
- أيضًا جاء في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة، **«قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ: أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**

^{١٢} البخاري (5970) ومسلم (330)

^{١٣} السلسلة الصحيحة (2817)

^{١٤} البخاري (583)

خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ»^{١٥} يعني شك الراوي هل قال النبي -صلى الله عليه وسلم- من قلبه أو قال من نفسه؟

- وفيه دليل على أنَّ الإخلاص والتَّوْحِيدَ وقول لا إله إلا الله بإخلاص من أسباب نيل شفاعته النَّبي -صلى الله عليه وسلم- «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ» فهؤلاء هم أسعد الناس بشفاعة النَّبي -صلى الله عليه وسلم-.
 - الشَّفَاعَةُ التي جاءت في القرآن جاءت مُثَبَّتة وجاءت مَنفِيَّة، فالشَّفَاعَةُ المنفية هي التي تُسأل من غير الله، أو بغير إذنه أو بغير رضاه، وأمَّا الشَّفَاعَةُ المثبتة فهي التي تُسأل بإذنه، وبرضاه عن الشَّافِع وعن المشفوع فيه، فالشَّفَاعَةُ العُظْمَى التي هي في أهل الموقف والتي هي المقام المحمود، لا يَتَقَدَّم النَّبي -صلى الله عليه وسلم- بطلبها وإنما يؤذن له ابتداءً، وهكذا الشَّفَاعَاتُ يُؤْذَنُ للشَّافِعِ أَنْ يَشْفَعَ، ففيها إظهار كرامة الشَّافِعِ وفيها مَنفَعَةٌ في المشفوع فيه.
 - الشَّفَاعَاتُ في الآخرة أنواع: هناك شفاعات خاصة بالنَّبي -صلى الله عليه وسلم- ومنها:
 - ✓ شفاعته في أهل الموقف التي هي المقام المحمود.
 - ✓ وشفاعته في دخول أهل الجنة الجنة، هذه خاصة بالنَّبي -صلى الله عليه وسلم-.
 - ✓ وهناك شفاعته خاصة به وهي شفاعته -عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- بعمه أبي طالب، ليخفف عنه العذاب فقط.
 - ✓ وبقية الشَّفَاعَاتُ في أقوام استحقوا النار من أهل التوحيد أن لا يدخلوا النَّارَ، وفي أقوام دخلوا النَّارَ أن يخرجوا من النَّارِ، وفي أقوام دخلوا الجنَّةَ في رفع درجات في الجنة، فهذه تكون للنبي -صلى الله عليه وسلم- وتكون لغيره من النَّبِيِّينَ والملائكة والشهداء والصالحين.
 - والقرآن يَشْفَعُ والصَّيَامُ يَشْفَعُ، والشُّهَدَاءُ يَشْفَعُونَ، ولهذا يأتي القرآن شفيعاً لأصحابه يوم القيامة، إلا أنَّ هناك صنف من المؤمنين لا تُقبل شفاعتهم.
- من هم الذين لا تقبل شفاعتهم؟**
- اللاعنون كما جاء في حديث صحيح من حديث أم الدرداء عن أبي الدرداء، أن النَّبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «لَا يَكُونُ اللَّعَانُونَ شُهَدَاءَ وَلَا شُفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^{١٦} أعادنا الله وإياكم من هذا الوصف، فكثير اللعن يوم القيامة لا تُقبل شفاعته ولا شهادته.
- الأسباب التي بها ينال العبد الشَّفَاعَةَ، ومنها:
 - (١) إخلاص التَّوْحِيدَ لله -تبارك وتعالى-.
 - (٢) المحافظة على الأدعية بعد الأذان.
 - (٣) كثرة الصَّلَاةِ على النَّبي -صلى الله عليه وسلم-.

^{١٥} البخاري (6115)

^{١٦} مسلم من حديث أبي الدرداء

(٤) قد جاء في سكن المدينة أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- وعد مَنْ صَبَرَ عَلَى لَأَوَائِهَا وَشِدَّتِهَا، إِلَّا كَانَ لَهُ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
قال صلى الله عليه وسلم: «وَلَا يَنْبُتُ أَحَدٌ عَلَى لَأَوَائِهَا وَجَهْدِهَا إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^{١٧}.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

^{١٧} مسلم (1363) عن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْ الْمَدِينَةِ، أَنْ يُقَطَعَ عِصَاهُهَا، أَوْ يُقْتَلَ صَبْدُهَا، وَقَالَ: الْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، لَا يَدْعُهَا أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَبَدَلَ اللَّهُ فِيهَا مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ، وَلَا يَنْبُتُ أَحَدٌ عَلَى لَأَوَائِهَا وَجَهْدِهَا إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)